مجلة بوابة الباحثين للدراسات والأبحاث
Researchers Gate Journal for Studies and Research
ISSN (Print): 3080-1354 ISSN (online): 3079-787X
Volume: 1, Issue: 2 2025

التفسير المقاصدي للقرآن الكريم: أهميته وتطوره

Maqasidic Tafsir of the Holy Qur'an: Its Importance and Development

د. عبد اللطيف الخيالي: أستاذ بوزارة التربية الوطنية والتعليم، المغرب.

Dr. Abdel Latif Al-Khayali: Professor at the Ministry of National Education and Teaching, Morocco.

Abdellatifelkhayali2@gmail.com

الملخص

يهدف هذ البحث إلى دراسة التفسير المقاصدي، من حيث مفهومه ومقاصده وتطوره، واعتمدت فيه المنهج الاستقرائي والمنهجين التاريخي والمقارن، وهو ينتمي إلى مجال العلوم الشرعية المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه، وقد قسمته إلى مبحثين: المبحث الأول تناولت فيه مفهوم التفسير المقاصدي للقرآن، ومقاصده، أما المبحث الثاني فقد ذكرت فيه التفسير المقاصدي عند المتقدمين وعند المعاصرين.

ومن بين نتائج هذا البحث أن التفسير المقاصد يعتبر بوصلة توجه المفسر وجهة صحيحة، وتمكنه من معرفة المراد من كلام الله، وتجنبه الوقوع في ما لا فائدة فيه من تطويل وخلافات وغيرها.

الكلمات المفتاحية: التفسير المقاصدي، مقاصد التفسير المقاصدي، التفسير المقاصدي عند المتقدمين، المقاصد بوصلة المفسرين، التفسير المقاصدي في العصر الحديث.

Abstract:

This research aims to study Maqasidic Tafsir in terms of its concept, objectives, and development. The study adopts the inductive, historical, and comparative methodologies. It falls within the field of Islamic sciences related to the Qur'an and its sciences. The research is divided into two sections: the first section discusses the concept of Maqasidic Tafsir and its objectives, while the second section examines Maqasid of Tafsir among early scholars and contemporary scholars.

One of the key findings of this research is that Maqasidic Tafsir serves as a compass guiding the interpreter in the right direction, enabling a proper understanding of the divine message and avoiding unnecessary elaboration, disputes, and other unproductive discussions.

Keywords: Maqasidic Tafsir, Objectives of Maqasidic Tafsir, Maqasidic Tafsir Early Scholarship, Maqasid as a Guide for Interpreters, Maqasidic Tafsir in the Modern Era.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في كونها تتناول موضوعا مهما يتعلق بكتاب الله، الذي يعتبر المرجع الأول لجميع العلوم الشرعية، كي يتمكن المفسر من الإلمام بمراد الله من كلامه.

أهداف الدراسة

تتمثل أهداف هذه الدراسة في:

- معرفة مفهوم التفسير المقاصدي
- تحديد مقاصد التفسير المقاصدي
- المقارنة بين حضور التفسير المقاصدي عن المتقدمين والمعاصرين

منهجية البحث

تطلبت طبيعة البحث الاعتماد على المنهج الاستقرائي لمعرفة مفهوم التفسير المقاصدي ومقاصده، والمنهجين التاريخي والمقارن للاطلاع على حضور التفسير المقاصدي، عند المتقدمين والمعاصرين، من علماء الأمة، والمقارنة بين ذلك.

خطة البحث

قسمت البحث إلى:

مقدمة

ومبحثين:

المبحث الأول: تناول معنى التفسير المقاصدي للقرآن، ومقاصده.

وتضمن مطلبين

المطلب الأول: معنى التفسير المقاصدي

المطلب الثاني: مقاصد التفسير المقاصدي

المبحث الثاني: التفسير المقاصدي عند المتقدمين والمعاصرين

وتضمن مطلبين:

المطلب الأول: التفسير المقاصدي عند المتقدمين

المطلب الثاني: التفسير المقاصدي عند المعاصرين

خاتمة: تضمنت أهم النتائج والخلاصات.

الدراسات السابقة:

وقفت على بعض الدراسات تناولت موضوع التفسير المقاصدي، منها:

١. الأطرش، رضوان جمال، وخالد، عبدة نشوان. (٢٠١١). الجدور التاريخية للتفسير المقاصدي في القرآن الكريم. تناولا فيه تعريف التفسير المقاصدي، ونشأة التفسير وتطوره والسلبيات التي عرفها، إلى جاء عصر النهضة العلمية الحديثة، فظهر التفسير المقاصدي، الذي كان حاضرا في عهد الصحابة والتابعين، إلى أن دعا أبو حامد الغزالي إلى إعمال المقاصد، وانتقد على الفقهاء صنيعهم في تجريد النص القرآني من المقاصد، ثم اتضحت فكرة المقاصد واكتملت على يد الشاطبي ونضجت على يد الإمام ابن عاشور الذي نادى باستقلالية المقاصد. وذكرا أمثلة من المقاصد عند عدد من المتقدمين، وعند ابن عاشور من المعاصرين. غير أن الباحثين لم يشيرا إلى أهمية التفسير المقاصدي، واقتصرا على ابن عاشور من المعاصرين.

٢. عاشور وصفي (٢٠١٩). نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم، وهو من البحوث المعاصرة التي عرفت انتشارا واسعا، وقد تناول فيه: تعريف التفسير المقاصدي وعلاقته بأنواع التفسير، أنواع مقاصد القرآن، مسالك الكشف عن مقاصد القرآن، مقومات المفسر المقاصدي، ضوابط التفسير المقاصدي، فوائد التفسير المقاصدي. ويظهر أنه بحث مهم ومفيد. غير أنه عرف شيئا من التطويل والخلط بين المقاصد ومقاصد التفسير المقاصدي.

ويأتي بحثي هذا في حلة مختصرة متناولا بالدراسة مفهوم التفسير المقاصدي ومقاصده وتطوره، في حلة مختصر ومنظمة، جامعا بين أقوال المتقدمين والمعاصرين. وبالله التوفيق.

المبحث الأول: معنى التفسير المقاصدي للقرآن الكريم ومقاصده

المطلب الأول: معنى التفسير المقاصدي للقرآن

الفرع الأول: معنى التفسير

لغة: جاء في لسان العرب: فسر: الفسر: البيان. فسر الشيء يفسِره، ويفسُره، فسرا، وفسره: أبانه،... وقوله عز وجل: "وأحسن تفسيرا"، الفسر: كشف الغطاء، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل (ابن منظور، ج٥، ص ٥٥). (ابن فارس، ١٩٧٩، ج٤، ص ٥٠٤).

فالتفسير لغة هو البيان وكشف المراد.

اصطلاحا:

– عرف الإمام الزركشي التفسير بقوله: التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه"(الزركشي، ١٩٥٧، ج ١، ص ١٣).

ويقول الشيخ الزرقاني: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية" (الزرقاني، ١٩٤٣، ج ١ ص ١٤).

أما العلامة ابن عاشور فيقول: "التفسير: اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، وما يستفاد منها، باختصار أو توسع" (ابن عاشور، ١٩٩٧، ج ١ ص ١١).

يلاحظ أن هذه التعاريف كلها تشير إلى ان المراد من التفسير هو معرفة معاني كلام الله في كتابه العزيز، وهو ما يتطابق مع التعريف اللغوي.

ومما تجدر الإشارة إلى أن مفهوم التفسير المتعلق بكتاب الله، تطور عبر مر التاريخ، حيث كان يقصد به التفسير بالمأثور في العصر الأول – الماتريدي والثعلبي... – ثم بدأت النزعة الفردية والذاتية تتجاذبه، حيث أصبح كل مفسر يبرز ما برع فيه من علم – القراءات، اللغة، الفقه، علم الكلام ... – في تفسيره، وبذلك ظهرت التفاسير المطولة التي غلب على الكثير منها التفسير بالرأي.

الفرع الثاني: تعريف المقاصد.

لغة: قال ابن فارس: "قصد، القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدهما على إتيان شيء وأمه، والآخر على اكتناز في الشيء. فالأصل: قصدته قصدا ومقصدا"(ابن فارس، ١٩٧٩، ج٥، ص ٩٥).

وجاء في لسان العرب: "القصد، استقامة الطريق. قصد قصدا فهو قاصد. وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ ﴾ (النحل ٩)، أي على الله تبين الطريق المستقيم، والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة" (ابن منظور، ٣– ٣٥٣).

وجاء الجدر قصد في القرآن الكريم في ستة مواضع:

١- قوله تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ ﴾ (لقمان، الآية: ١٩).

ومعناه توسط فيه، والقصد ما بين الإسراع والبطء(القرطبي، ١٣٨٤هـ، ج ١٤ ص ٧١).

٢- قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ ﴾ (النحل، الاية: ٩).

أي على الله بيان قصد السبيل، فحذف المضاف وهو البيان، والسبيل هو الاسلام، ومعنى الآية: على الله بيان الاسلام بالرسل والحجج والبراهين، وقصد السبيل معناه استقامة الطريق، يقال طريق قاصد، أي مستقيم يؤدي المطلوب (القرطبي، ١٣٨٤هـ، ج ١٠ ص ٨١).

٣- قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ ﴾ (التوبة، الآية: ٤٢).

أي سفرا سهلا معلوم الطريق.

٤- قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ ﴾ (لقمان، ٣٢).

٥- قوله تعالى: ﴿ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ ﴾ (فاطر، الآية ٣٢).

٦- قوله تعالى: ﴿ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ ﴾ (المائدة، الاية: ٦٦).

والمقصود بمقتصد في الآيتين الأولى والثانية معتدل ومتوسط، وفي الآية الثالثة مقتصدة ومتوسطة.

ومن خلال ما سبق يمكن القول: القصد والمقصد والمقاصد في الأصل تعني العزم والتوجه نحو الشيء ولها استعمالات أخرى متعددة منها: الاستقامة، والاعتدال، والتوسط، والاعتماد والأَمَ، وتعتبر الحكمة من أقرب تلك المعاني للمقاصد، وورودها في القرآن أكثر (حامدي، ٢٠٠٨، ص ٢٠-٢١).

اصطلاحا:

عرف ابن عاشور المقاصد بقوله: "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا

أوصاف الشريعة وغاياتها العامة، والمعاني التي لا يخلوا التشريع من ملاحظتها... ويدخل في هذا معاني ليست ملحوظة في سائر أنواع الحكم، ولكنها ملحوظة في كثير منها". (ابن عاشور، ٢٠٠٤، ج ٣ ص١٦٥).

وعرفها الريسوني بقوله: "مقاصد الشريعة هي الغايات المستهدفة والنتائج والفوائد المرجوة من وضع الشريعة جملة، ومن وضع أحكامها تفصيلا، أو" هي الغايات التي وضعتها الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد".

ومعنى هذا أن مقاصد الشريعة تمثل مراد الله وغاية ما كلف به عباده وما شرعه لهم، فهي بمنزلة الثمرة من الشجرة". (الريسرني، ٢٠٠٩، ص ١٦-١٧).

ويمكن القول إن مقاصد الشريعة هي الحكم والغايات التي أرادها الشارع من خلال نصوص الوحي، وهي البوصلة الموجه لفهم الشريعة فهما صحيحا، يقي من الزلل والتخبط، وهذا ما يجب على العلماء والفقهاء والمحدثين التنبه له والحرص عليه، فكل من يلم بها تاه وضل! وكان أداة هدم جنى على الأمة ما يرضي أعداها ويحزن منتسبيها، وكان سببا من أسباب تمزيق الأمة، ولله المشتكى.

الفرع الثالث: تعريف القرآن.

لغة: يقول عبد العظيم الزرقاني: "أما لفظ القرآن: فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى:

"إن علينا جمعه وقرآنه"، ثم نقل من هذا المعنى المصدري، وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، من باب إطلاق المصدر على مفعوله". (الزرقاني، ١٩٤٣، ص ١٤).

اصطلاحا: القرآن هو اللفظ العربي المعجز، الموحى به إلى محمد صلى الله عليه وسلم، بواسطة جبريل عليه السلام، وهو المنقول بالتواتر، المكتوب في المصحف، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس. (ديب البغا، ديب مستو، ١٩٩٨، ص ١٥).

الفرع الرابع: تعريف التفسير المقاصدي.

يمكن تعريف التفسير المقاصدي للقرآن الكريم بأنه: هو ذلك النوع من التفسير الذي يبحث في معني ألفاظ القرآن الكريم، وتوسيع دلالاتها اللغوية، مع بيان الحكم والغايات التي أنزل من أجلها القرآن وشرعت من أجلها الأحكام (جمال الأطرش ونشوان عبده ،٢٠١١، ص ١٩٧).

وقد عرفه الدكتور وصفي أبو زيد بقوله: "هو نوع من أنواع التفسير يبحث في الكشف عن المعاني والغايات التي يدور حولها القرآن الكريم كليا أو جزئيا مع بيان كيفية الإفادة منها في تحقيق مصلحة العباد". ونعني بـ "كليا أو جزئي" المقاصد العامة للقرآن الكريم، والتي تحدث عنها القرآن نفسه، وكثير من العلماء". (وصفي عاشور، ٢٠١٩ ، ص١٣).

وعرفه الدكتور مومني الراضي بقوله: " التفسير المقاصدي للقرآن الكريم يعد نوعا من أنواع التفسير حيث يجعل المقاصد عنصرا أساسا من عناصر التفسير، وهو يعني أساسا بعرض هدايات القرآن، ويكشف أسراره ويوضح غاياته ويجلي حكمه، وينبه إلى ما فيه من المصالح حثا على إتيانها، وما في المفاسد من المضار حثا على تركها واجتنابها، فالقرآن الكريم جاء لأجل مصلحة العباد، وليدفع عنهم الفساد". (مومني، ٢٠٢٢).

ويمكن القول التفسير المقاصدي هو العلم الذي يبحث عن المراد من كلام الله في كتابه العزيز "القرآن" ويأخذ بيعن الاعتبار مقاصد الشارع، ويعتبر النظر إليها شرطا من شروط التفسير.

المطلب الثاني: مقاصد التفسير المقاصدي.

لكل أمر غاية، ولكل حكم مقصد، وكلما عظم الشيء كثرت منافعه وفوائده، ومن ثم فإن التفسير المقاصدي

له فوائد ومقاصد عديدة، من أهمها:

١- يسعى أساسا لبيان الحكم والغايات والأهداف، التي أنزل لأجلها القرآن الكريم، وشرعت من أجلها الأحكام مع عدم إغفال معاني الألفاظ ودلالاتها اللغوية. والتفسير المقاصدي المصلحي يُعنى أساسا بالبحث في مقاصد النصوص، والمصالح المتوخاة منها، مع بيانها وإظهار جملة حكمها وأحكامها، انطلاقا من كون القرآن الكريم هو المصدر الأول للأحكام الشرعية، التي قصد الشارع بها ومن خلالها تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد (مومني، ٢٠٢٢).

٢- يعين على فهم الرسالة القرآنية الإسلامية على وجهها الصحيح: فالتفسير المقاصدي هو المدخل السليم إلى ذلك.

٣- الفهم السليم للمعاني التفصيلية: وذلك ناتج عن معرفة هذه المقاصد العامة واستحضارها عند قراءة القرآن وتدبره.

٤- سداد الفهم لمقاصد السنة النبوية جملة وتفصيلا مما يؤدي إلى سداد النظر الفقهي والاجتهاد الفقهي...فلا يمكن فهم السنة على وجهها الصحيح إلا إذا استحضرت مقاصد القرآن عند التعامل مع السنة.

كما أن السنة مبرزة لمقاصد القرآن وأسراره، فلا يقبل أن تكون مقاصدها تعارض مقاصده، وإلا فالخلل في ذهن العالم أو الفقيه وليس في القرآن أو السنة. يقول الشاطبي رحمه الله: "وذلك أن

القرآن الكريم أتى بالتعريف بمصالح الدارين جلبا لها، والتعريف بمفاسدهما دفعا لها، ... وإذا نظرنا إلى السنة وجدناها لا تزيد على تقرير هذه الأمور؛ فالكتاب أتى بها أصولا يرجع إليها، والسنة أتت بها تفريعا على الكتاب وبيانا لما فيه منها؛ فلا تجد في السنة إلا ما هو راجع إلى تلك الأقسام (الشاطبي، ١٩٩٧، ج ٤ ص ٣٤٦).

٥- يعتبر ميزانا توزن به أعمال الإنسان وحياته الفردية والجماعية، وفي ذلك يقول العلامة ابن عاشور " إن القرآن أنزله الله تعالى كتابا لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم قال الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية". (ابن عاشور، ١٩٩٧، ج ١ ص ٣٨).

٦- يضمن للمفسر البقاء في نطاق مقاصد القرآن فلا يعدوها، وبذلك يقل الخلاف بين المفسرين والتعصب عند المسلمين، يقول الدكتور وصفي عاشور: "من الفوائد المهمة التي يحققها التفسير المقاصدي والنظر المقاصدي في القرآن الكريم أنه يقلل الخلاف ويرفعه، ويمنع التعصب ويحاصراره، فالتفسير وفق مقاصد القرآن يرفع اختلاف المختلفين، ويقرب بين المتباعدين، ويؤلف بين المتنافرين، وهي ميزة عامة للفكر المقاصدي في كل مجال وفي أي علم وفي أية قضية ومسألة؛ لأنه فكر يجمع ولا يفرق، ويبني ولا يهدم، ويجدد ولا يبدد". (عاشور، ٢٠١٩، ١٠١).

٧- يساعد على ترجيح أقوال المفسرين وآرائهم بمقتضى المقاصد القرآنية او مقاصد الشريعة نفسها، واستبعاد ما لا فائدة فيه، يقول الدكتور وصفي عاشور: " وهذا مقصد مهم نستفيده من التفسير المقاصدي للقرآن الكريم وسوره، فكثيرا ما يختلف المفسرون في تأويل آية من الآيات، ويقفون عند

أشياء ما كان أغناهم عنها، ولو توقفوا عند حدود ما اهتم به القرآن لما خاضوا في بعض ما خاضوا فيه". (عاشور، ٢٠١٩، ١٠٨).

المبحث الثاني: التفسير المقاصدي عند المتقدمين والمعاصرين

المطلب الأول: التفسير المقاصدي عند المتقدمين

الفرع الأول: التفسير المقاصدي عند الصحابة والتابعين.

بالرجوع إلى التفسير في مرحلته الأولى نستنتج أن المقاصد كانت حاضرة عند الرعيل الأول، وكيف لا؟ وهم الجيل الذي عايش نزول القرآن، وشاهد تنزيله، بل ونزله على أرض الواقع، وقد اعتمد من جاء بعدهم من التابعين وغيرهم، على أقوالهم في تفسير كتاب الله، بعد أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا أدل على ذلك من صنيع أبي بكر رضي الله عنه في جمع القرآن، وعمل عمر رضي الله عنه بعدم إعطاء الزكاة للمؤلفة قلوبهم.

أما في عصر التابعين وعصر الأئمة فقد كانت المقاصد حاضرة، وما العمل بالقياس والمصلحة المرسلة وسد الذرائع والاستحسان عند الأئمة، إلا نتيجة لفهمهم العميق لمقاصد القرآن، واستحضارهم لها في استنباط الأحكام، فهم القرنين المشهود لهم بالخيرية من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الفرع الثاني: التفسير المقاصدي عند الإمام الغزالي.

وفي القرن الخامس الهجري كان للإمام أبو حامد الغزالي أثرا بالغا في التنبيه إلى مقاصد القرآن حيث يقول في الفصل الثاني المعنون تحت "في حصر مقاصد القرآن ونفائسه" من كتابه " جواهر القرآن": "سر القرآن ومقصده الأقصى، دعوة العباد إلى الجبار الأعلى، ... فلذلك انحصرت سور القرآن وآياته في ستة أنواع:

– ثلاثة منها: هي السوابق والأصول المهمة.

– وثلاثة: هي الروادف والتوابع المغنية المتمة.

أما الثلاثة المهمة فهي:

١– تعريف المدعو إليه.

٢– تعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه.

٣– تعريف الحال عند الوصول إليه.

وأما الثلاثة المعنية المتمة:

١– تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم، وسره ومقصوده التشويق والترغيب، وتعريف أحوال الناكبين والناكلين عن الإجابة وكيفية قمع الله لهم وتنكيله لهم، وسره ومقصوده الترغيب والترهيب.

٢– حكاية أحوال الجاحدين، وكشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمحاجة عن طريق الحق.

٣– تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأهبة والاستعداد (الغزالي، ١٩٨٦، ص ٢٤)

الفرع الثالث: التفسير المقاصدي عند ابن العربي

يعتبر ابن العربي من أبرز العلماء الذين نظروا إلى المقاصد، حيث نجدها حاضرا في مؤلفاته حتى قيل إنه لا يضاهيه في ذلك إلا شيخ المقاصد أبي إسحاق الشاطبي.

ومن أمثلة ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٩)، قال: احتج علماؤنا – رحمة الله عليهم – بهذه الآية، على أحمد بن حنبل في قوله:

لا تقتل الجماعة بالواحد، قال: لأن الله تعالى شرط في القصاص المساواة، ولا مساواة بين الواحد والجماعة، لا سيما وقد قال تعالى "وكتبنا **عليهم فيها أن النفس بالنفس**" (المائدة ٤٥)، الجواب: أن مراعاة القاعدة أولى من مراعاة الألفاظ، ولو علم الجماعة أنهم إذا قتلوا واحدا لم يقتلوا لتعاون الأعداء على قتل أعدائهم بالاشتراك في قتلهم، وبلغوا الأمل من التشفي منهم. جواب آخ: وذلك أن المراد بالقصاص قتل من قتل، كائنا من كان، ردا على العرب التي كانت تريد أن تقتل بمن قتل، وتقتل في مقابلة الواحد مائة افتخارا واستظهارا بالجاه والمقدرة، فأمر الله بالمساواة والعدل، وذلك بأن يقتل من قتل" (ابن العربي، ٢٠٠٣، ج ١ ص ٩٥).

وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾ (التوبة: ٦٠)، قال: قوله تعالى: "والغارمين" وهم الذين ركبهم الدَّين، ولا وفاء عندهم به، ولا خلاف فيه، اللهم إلا من دان في سفاهة، فإنه لا يعطى منها، نعم، ولا من غيرها إلا أن يتوب، فإنه إن أخذها قبل التوبة عاد إلى سفاهة مثلها أو أكبر منها" (ابن العربي، ٢٠٠٣، ج ٢ ص٤٩٩).

الفرع الرابع: التفسير المقاصدي عند العز بن عبد السلام.

تحدث العز بن عبد السلام عن مقاصد القرآن في تصانيفه حيث يقول: "ومعظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها، فلا نسبة بمصالح الدنيا ومفاسدها إلى مصالح الآخرة ومفاسده؛ لأن مصالح الآخرة خلود الجنان ورضا الرحمان، مع النظر إلى وجهه الكريم، فيا له من نعيم مقيم، ومفاسدها خلود النيران وسخط الديان مع الحجب عن النظر إلى وجهه الكريم، فيا له من عذاب أليم (العز،١٩٩١ ، ج ١ ص ٨-٩).

المطلب الخامس: التفسير المقاصدي عند الرازي.

لقد كانت رعاية المصالح حاضرة في تفسير الرازي فعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ ﴾ [البقرة ١٢٩]: ويعلمهم الكتاب أراد به الآيات المحكمة، (والحكمة) أراد بها أن يعلمهم حكمة تلك

الشرائع، وما فيها من وجوه المصالح والمنافع (الرازي، ١٤٢٠، ج٤ ص٥٩).

كما نجد الرازي يشير إلى مقاصد السور، حيث يقول: "إن الغرض من سورة مريم: بيان التوحيد والنبوة والحشر" (الرازي، ١٤٦٠، ج ٢١ ص٥٤١). وإشارته إلى أن سورة ياسين ليس فيها إلا تقرير الأصول الثلاثة بأقوى

البراهين (الرازي، ١٤٢٠، ج ٢٦ ص٣١١).

ونجد المقاصد حاضرة في تفسير القرطبي، كما هو واضح في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا ﴾ (الكهف، الآية: ٧٩)، حيث يقول القرطبي: "وكان يأخذ (الملك) كل سفينة جيدة، غصبا، فلذلك عابها الخضر وخرقها، ففي هذا من الفقه العمل بالمصالح إذا تحقق وجهها" (للقرطبي،٣٨٤هـ، ج ١١ ص ٣٦).

ولا يخفى جهد ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في استنباط مقاصد السور، وكان ابن تيمية لا يكاد يترك سورة إلا ويفصل القول في مقاصدها، ساردا ما يؤيد هذه المقاصد من معان جزئية، رابطا بين بداية السورة، بحيث يمكن القول إنه أول من أصل لهذا العلم وجمع أطرافه من الناحية التطبيقية (الزهاني، ٢٠١٦، ص ٨٣).

الفرع السادس: التفسير المقاصدي عند الشاطبي.

لا تخفى مكانة الإمام الشاطبي في علم المقاصد، حيث يعتبر هو مؤسس هذا العلم، وما ذلك إلا ثمرة لنظره الثاقب والمتفحص في كلام الله قبل أي الشيء، فعند حديثه عن قول الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد ١٢)، يقول: "فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن، فلم يحصل منهم تدبر". (الشاطبي، ١٩٩٧، ج ٤، ص ٢٠٩).

المطلب الثاني: التفسير المقاصدي في العصر الحديث.

في العقود الأخيرة لعبت الثورة العلمية في عهد الشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا، والشيخ حسن البنا، دورا ملموسا في إعادة إحياء روح المعاني القرآنية، ومقاصد القرآن الكريم، بل طبقت في تفسير أولئك، وكانت من الميزات التي تميز أعمالهم.

لقد مثلت النهضة العلمية منطلقا من منطلقات التجديد في التفسير المقاصدي، وتقعيدا لمسألة إعمال المقاصد في التفسير، من ذلك تفسير "فتح البيان في مقاصد القرآن" للشيخ صديق حسن خان، و تفسير المنار"، للشيخ رشيد رضا، وظلال القرآن"، لسيد قطب، و"التحرير والتنوير"، لابن عاشور، الذي أظهر فيه اتجاها مقاصديا بارز المعالم، واضح الأثر، وكان للمقاصد حظا وافرا في منهجية المصنف عند كتابته لمقدمات تفسيره، وأثناء

تفسيره للآيات. وهو ما سنتناوله في المبحث الموالي بحول الله.

الفرع الأول: التفسير المقاصدي في فتح البيان.

اهتم صاحب كتاب "فتح البيان" بالمقاصد الجزئية كثيرا فأبلى فيها بلاء حسنا. فعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة : ٢٤)، قال إن الآية تشير إلى ترجيح مصلحة الدين على الدنيا عند التعارض، ليبقى الدين سليماً" (خان،١٩٩٢، ج ٥ ص ٢٦١)

الفرع الثاني: التفسير المقاصدي في تفسير المنار.

لقد خاض الشيخ رشيد رضا غمار التفسير المقاصدي فأبدع وأفلح، فتجده يستعمل كلمة مقصد بتصاريفها وكلمة المصلحة وغيرها، بل إنه خصص فصلا من تفسيره لأجل المقاصد القرآنية فقال في فقرة عنون لها ب"مقاصد القرآن، في ترقية نوع الإنسان، وما فيه من التكرار": "إن مقاصد القرآن من إصلاح أفراد البشر وجماعاتهم وأقوامهم... منها ما يكفي بيانه لهم في الكتاب مرة أو مرتين أو مرارا قليلة، ومنها ما لا تحصل الغاية إلا بتكرار كثير لأجل أن يجتث من أعماق الأنفس كل ما كان فيها من آثار الوراثة، والتقاليد والعادات القبيحة الضارة، ويغرس في مكانها أضدادها، ويتعاهد هذا الغرس بما ينميه حتى يؤتي أكله ويينع ثمره" (رضا، ١٩٩٠، ج ١٠ ص ١٧٠ – ١٧١).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (البقرة: ٢٠٤– ٢٠٧)، قال: "فكانت هذه متصلة بتلك

في بيان مقصد القرآن العزيز وهو إصلاح القلوب، واختلاف أحوال الناس فيها، وما ينبغي أن يعلموه منها"(رضا، ١٩٩٠، ج ٢ ص ١٩٦).

الفرع الثالث: التفسير المقاصدي في "في ظلال القرآن".

ضم كتاب "في ظلال القرآن" في طياته العديد من المقاصد، فهو تفسير ينبض حياة بخصوص العناية

بالجانب المقاصدي ولا أدل على ذلك تلكم الدراسات الجامعية التي خاضت "الظلال" بحثا وتجلية لمعالم التفسير أو الفكر المقاصدي عنده.

ومن معالم تلكم العناية المقاصدية عنده رحمه الله أنه كان يصدر تفسير السورة بالإشارة إلى مقاصدها العامة في البداية ثم يقفي بالمقاصد الجزئية لكثير من الآيات.

فمن أمثلة احترامه لمقاصد التفسير المقاصدي أنه حرص على اجتناب ما لا فائدة مرجوة منه في تفسير آية أو آيات ما؛ لأن حكمة النص لو كانت لا تتحقق إلا بذلك ما أهمله القرآن.:. و يقول متحدثا عن الرجل وعن القرية ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ (البقرة:٢٥٩)، قائلا: "من هو الذي مر على قرية؟ ما هذه القرية التي مر عليه أو هي خاوية على عروشها؟ إن القرآن لم يفصح عنها شيئا ولو شاء الله لأفصح، ولو كانت حكمة النص لا تتحقق إلا بهذا الإفصاح ما أهمله في القرآن، فلنقف نحن – على طريقتنا في هذه الظلال – عند تلك الظلال" (قطب، ٢٠٠٣، ج ١ ص ٢٩٩)

وللأسف نجد العديد من كتب التفسير مليئة بالكثير من القصص والروايات، وعلم الكلام والخلافات اللغوية والخلافات الفقهية ما يملئ عشرات الصفحات، ويشغل القارئ عن المعاني والمقاصد الأساسية لتفسير كلام الله سبحانه.

الفرع الرابع: التفسير المقاصدي في "التحرير والتنوير".

يعتبر الشيخ الطاهر بن عاشور من حاملي لواء المقاصد في العصر الحديث، وقد قام بتقسيم مقاصد القرآن إلى ثمانية أنواع واضعا إياها تحت عنوان" المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها" (ابن عاشور، ١٩٩٧، ج ١ ص ٣٩_ 41)

ومن أمثلة اهتمامه بالمقاصد عند تفسيره: "﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة: ٢٢٨)، قال "بالمعروف" الباء للملابسة، والمراد به ما تعرفه العقول السالمة، المجردة من الانحياز إلى الأهواء، أو العادات أو التعاليم الضالة، وذلك هو الحسن وهو ما جاء به الشرع نصا أو قياسا، أو اقتضته المقاصد الشرعية أو المصلحة العامة، التي ليس في الشرع ما يعارضها والعرب تطلق المعروف على ما قابل المنكر أي وللنساء من الحقوق مثل الذي عليهن ملابسا ذلك دائما للوجه غير المنكر شرعا وعقلا، وتحت هذا تفاصيل كبيرة تؤخذ من الشريعة، وهي مجال لأنظار المجتهدين. في مختلف العصور والأقطار. فقول من يرى أن البنت البكر يجبرها أبوها على النكاح، قد سلبها حق المماثلة للابن، فدخل ذلك تحت الدرجة، وقول من منع جبرها وقال لا تزوج إلا برضاها قد أثبت لها حق المماثلة للذكر... ودين الإسلام حري بالعناية بإصلاح شأن المرأة، وكيف لا وهي نصف النوع الإنساني، والمربية الأولى" (ابن عاشور، ١٩٩٧، ج ٢ ص٤٠٠)

وبخصوص مسألة الهدايا التي تكون أوفر من حاجة أهل الموسم قطعا أو ظنا قريبا من القطع، فما يبقى منها حيا يباع وينفق ثمنه في سد خلة المحاويج أجدى من نحره أو ذبحه حين لا يرغب فيه أحد، ولو كانت اللحوم التي فات أن قطعت وكانت فاضلة عن حاجة المحاويج يعمل تصبيرها بما يمنع عنها التعفن فينتفع بها في خلال العام أجدى للمحاويج. فكادت أن تتفق كلمات من صدرت منهم فتاوى على أن تصبيرها مناف للتعبد بهديها. بينما ذهب ابن عاشور إلى أن كلا الحالين من البيع والتصبير لما فضل عن حاجة الناس في أيام الحج، لينتفع بها المحتاجون في عامهم، أوفق بمقصد الشارع تجنبا لإضاعة ما فضل منها رعيا لمقصد الشريعة من نفع المحتاج وحفظ الأموال (ابن عاشور، ١٩٩٧، ج ١٧ ص ٢٦٨)

ولا شك أنه هنا وظف المقاصد للترجيح، وبه يتأكد الترجيح بالمقاصد كمقصد من مقاصد التفسير المقاصدي.

النتائج والخلاصات:

- التفسير المقاصدي هو العلم الذي يبحث عن المراد من كلام الله في كتابه العزيز "القرآن"، ويأخذ بيعن الاعتبار مقاصد الشارع ويعتبر النظر إليها شرطا من شروط التفسير.
- استحضار مقاصد القرآن الأصلية في التفسير من أهم الأدوات التي يجب أن يتسلح بها المفسر لما لها من آثر بالغ في حسن التعامل مع القرآن الكريم وفهم مقاصده، وحسن تدبره، وتجاوز الخلافات.
- نشأة التفسير المقاصدي ترجع عصر النبوة والصحابة.
- المقاصد تمثل البوصلة التي توجه المفسر حتى لا يضل في بحار كتب التفسير والخلاف.

- كان للغزالي دور كبير في تطور التفسير المقاصدي؛ حيث انتقد على الفقهاء صنيعهم في تجريد النص القرآني من المقاصد.
- أولى العديد من المفسرين في العصر الحاضر أهمية كبيرة للمقاصد، وكان لابن عاشور الفضل الكبير في ذلك.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم: مصحف المدينة

١. ابن العربي، أ. ب. (٢٠٠٣). الجامع لأحكام القرآن. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

٢. ابن عاشور، م. ط. ب. (١٩٩٧). التحرير والتنوير. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.

٣. ابن فارس، أ. (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة. بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤. ابن منظور، م. ب. م. (د.ت). لسان العرب. بيروت، لبنان: دار صابر.

٥. الأطرش، ر. ج.، & خالد، ن. ع. (٢٠١١). الجدور التاريخية للتفسير المقاصدي في القرآن الكريم. مجلة الإسلام في آسيا، العدد الخاص الأول، ١٨٥–٢٢١.

٦. البغا، م. د.، & مستو، م. د. (١٩٩٨). الواضح في علوم القرآن (الطبعة الثانية). دمشق، سوريا: دار الكلام الطيب.

٧. الغزالي، أ. ح. (١٩٨٦). جواهر القرآن (الطبعة الثانية). بيروت، لبنان: دار إحياء العلوم.

٨. الرازي، ع. ب. ح. ب. ح. (٢٠٠٠). مفاتيح الغيب التفسير الكبير (الطبعة الثالثة). بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.

٩. الريسوني، أ. (٢٠٠٩). التفكير المقاصدي: قواعده وفوائده. المنصورة، مصر: دار الكلمة للنشر والتوزيع.

١٠. الزرقاني، م. ع. (١٩٤٣). مناهل العرفان في علوم القرآن (الطبعة الثالثة). مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١١. الزهراني، م. أ. ج. (٢٠١٦). التفسير المقاصدي: تأصيل وتطبيق. مجلة الدراسات الإسلامية، ٢٨.(1)

١٢. الشاطبي، إ. ب. م. (١٩٩٧). الموافقات (الطبعة الأولى). الدمام، السعودية: دار ابن عفان.

١٣. العز بن عبد السلام. (١٩٩١). قواعد الأحكام في مصالح الأنام. القاهرة، مصر: مكتبة الكليات الأزهرية.

١٤. القنوجي، أ. ط. م. ص. (١٩٩٢). فتح البيان في مقاصد القرآن. صيدا – بيروت، لبنان: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

١٥. القرطبي، م. ب. أ. (١٩٦٤). الجامع لأحكام القرآن (الطبعة الثانية). القاهرة، مصر: دار الكتاب المصرية.

١٦. المومني، ر. (د.ت). التفسير المقاصدي: قواعده وقضاياه. مسترجع من https://www.arrabita.ma/blog

١٧. بن عاشور، م. ط. ب. م. م. (٢٠٠٤). مقاصد الشريعة الإسلامية. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

١٨. حامدي، ع. ك. (٢٠٠٨). المدخل إلى مقاصد القرآن الكريم (الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر.

١٩. رضا، م. ر. (١٩٩٠). تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار. القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٠. عاشور وصفي (٢٠١٩). نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم، (الطبعة الأولى). القاهرة، مصر: مفكرون الدولية للنشر والتوزيع.

٢١. قطب، س. (٢٠٠٣). في ظلال القرآن (الطبعة ٣٢). القاهرة، مصر: دار الشروق.